قصيدة الجواهري العينية في رثاء الإمام الحسين (ع) – دراسة تحليلية –

الأستاذ المساعد الدكتور
رحيم خريبط عطية
جامعة الكوفة - كلية الآداب

المقدمة

يسلط هذا البحث الضوء على قصيدة واحدة من شعر الجواهري في رثاء الإمام الحسين بن علي ابي طالب (ع) ، هذه القصيدة هي العينية التي ضمت أربعة وستين بيتاً نظمت على وزن المتقارب ، وعلى قافية المتدارك ذات الرويّ المكسور . وتعد من عيون شعر الجواهري ، ومن عيون الشعر العربي في العصر الحديث . وجاء في مقدمة ديوان الجواهري أن الشاعر ((ألقاها في الحفل الذي أقيم في كربلاء لذكرى استشهاد الإمام الحسين (ع) ، خط خمسة عشر بيتاً منها بالذهب على باب ضريح [سيد الشهداء] وهو الباب الرئيس الذي يؤدي إلى الرواق الحسيني)) ومع شهرة هذه القصيدة إلا أنها لم تحلل تحليلاً نقدياً . لذلك رأيت ان أفرد لها بحثاً مستقلاً لأهميتها .

والعينية من قصائد الرثاء التي قيلت في رثاء الإمام الحسين (ع) ، فهي إذاً من أدب التشيّع ، والحق أن الشاعر لم يصنف من شعراء الشيعة ، فهو وأن كان من أسرة دينية ومن بيئة النجف ، إلا أنه هجر كل ذلك وأختار طريقاً آخر . ويقف بشعره في طليعة الشعر العربي الحديث ، فهو واحد من اكبر شعراء العربية في القرن العشرين ، وقد أعفتني شهرة الإمام الحسين (ع) من الخوض في دراسة هذه الشخصية العظيمة وايضاً أعفتني شهرة الجواهري الادبية عن بيانها .

وان كان البحث يدرس قصيدة حديثة ، إلا أنْ لامندوحة له من الرجوع إلى مصادر قد يمة ومراجع حديثة وشبكة معلومات دولية ، فقد أسعفتني الدواوين الشعرية لتدوين الشعر الخاص بالرثاء ، وكتب المقاتل مثل مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني ، وكتاب مقتل الإمام الحسين (ع) للخوارزمي ، وكتاب مثير الأحزان لأبن نما الحلي مثلما أسعفتني كتب النقد القد يمة مثل كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر البغدادي والكتاب المنسوب إليه ايضاً وهو كتاب نقد النثر ، وكتاب العمدة في محاسن الشعر وآدبه ونقده لابن رشيق القيرواني ، والمعجمات من مثل لسان العرب لابن منظور والمعجم الأدبي لجبور عبد النور وهو معجم حديث ، فضلاً عن المراجع الحديثة من مثل كتاب الرثاء للدكتور شوقي ضيف وكتاب أثر التشيع للدكتور محسن غياض وكتاب الأدب في ظل التشيع للدكتور عبد الله النعمة وغيرها . وأعتمدت على الديوان وطبعة بيسان لأنها حوت شعراً لم تحوه الطبعات الأخرى .

ولا يفوتنّ الناقد الحاذق تلك الصعوبة التي تنطوي عليها دراسة قصيدة واحدة ، فهي تقّيد البحث ، وتشترط على الباحث الإحاطة بكل ما يتعلق بالقصيدة وخصوصاً إذا كانت القصيدة مثل العينية التي نظرت إلى القديم بصيغة جديدة معاصرة ، نظر بها شاعر معاصر مثقف ثقافة لغوية هائلة عرفتها عند رجوعي إلى معجمات اللغة لمعرفة ألفاظه ، وقد هالني ما رأيت من دقة الشاعر في اختيار المفردات لتخدم نسيج القصيدة .

وقد قسمت البحث على فقرات تحت أرقام تناولت كل فقرة فكرة واحدة أو أفكاراً منسجمة رتبتها بحسب ترتيب الشاعر حينما كان يتناولها بعد مدخل تناول الرثاء لغة واصطلاحاً وعلاقة قصيدة الرثاء بقصيدة المديح ومراحل رثاء الإمام الحسين (j) زمنياً .

وأسأل الله العلي القدير ان أكون قد وفقت في هذه الدراسة انه نعم المولى ونعم النصير .

مدخل :

(١)

معنى الرثاء : تكاد تجمع معجمات اللغة على معنى الرثاء ، فعلى سبيل المثال جاء في لسان العرب ((يقال : رثأتُ الرجل رثأً ومدحته بعد موته))(١) .

وجاء في المعجم الأدبي : هو ((تعداد مناقب الميت))(٢) ويحلو لبعض الباحثين أن يعطوا الرثاء معنىً اصطلاحياً ، فقد قالت بشرى الخطيب ((بالاصطلاح : هو التفجع على الميت واظهار الحزن عليه وتصوير الخسارة التي نجمت عن فقده ، وتعداد فضائله وصفاته الحسنة ، وتحمل الأشعار التي تضمنته – عادة – فيضاً من العاطفة ودعوى إلى التأمل في حقيقة الحياة ، وأن تجاوز الأمر إلى الصراخ والنواح))(٣) ويظهر ان التفجع واظهار الحزن ، هو مايفترض ان يكون بيناً على اسلوب الشاعر الراثي وعاطفته التي تظهر من خلال معانيه وافكاره ، وإلاّ فمن الممكن ان يصطنع الشاعر عاطفته إذا كان المرثي لا يمتّ بصلة قوية له . فهو إنما شارك قبيلته أو مجتمعه الحضري ، فهو يرضي احاسيس الآخرين والأجواء العامة المرافقة للحزن ((ولم تكن عادة في أقوالهم ما يعبر عن عاطفة نابعة من قلوبهم))(٤) .

وقد ربط الذين درسوا الرثاء (لغة) أو (اصطلاحاً) هذا الفن بفن المديح ، فعند هؤلاء جميعاً ان الرثاء راجعٌ إلى فن المديح . ويبدو ذلك واضحاً من خلال دراسات النقاد العرب الأوائل الذين أطلعوا على كتاب (نقد الشعر) لارسطو وأنتفعوا بما فهم من كتابه هذا عندما بيّن كيف يكون المديح وكيف يكون الهجاء ((وقد أنفق قدامة مجهوداً طريفاً في رد سائر الفنون الشعرية إلى المديح والهجاء ليخضعها كلها لنظرية ارسطو المتعلقة بـ (المنافرات) ، فليس الرثاء عنده إلا مديحاً ، وإذاً ينبغي ان تستعمل فيه قواعد المديح مع ملاحظة أن يكون الفعل ماضياً لا مضارعاً ، ((فلا يقال (انه شجاع) أو (انه جواد) ولكن (كان شجاعاً) و (كان جواداً) ....))(٥) فقد قال ارسطو طاليس (فكل شعر، وكل نشيد شعري ينحى به: اما مديحا واما هجاءً)(٦) وينبغي ان يلاحظ ان الدارسين إنما كانوا يخلطون الرثاء بالتأبين والعزاء والتفجع فكأنما هي موضوع واحد إلاّ ان شوقي ضيف كان قد فرق بين انواع منها ، وقسم الرثاء على ثلاثة اقسام هي : الندب والتأبين ، والعزاء(٧) . والحق ان اشارة قدامة إلى ان الرثاء هو مديح كانت متأخرة بحدود قرن كامل عما جاء عند ابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء ، عندما قال : ((ويذكرنا هذا التساؤل بتعريف أهل اللغة والأدب للرثاء والتأبين الذي يعني مدح الميت والثناء عليه))(٨) وهذا واضح من ان ابن سلام قد نظر إلى اهل اللغة والأدب ، وكان الخليل قد قال في كتابه (العين) : ((رثي : رثي فلان فلاناً ، يرثيه رثياً ومرثية أي : يبكيه و يمدحه والأسم : المرثية))(٩) .

وقد وجه قدامة الشعراء والنقاد معاً إلى هذا المعنى المأخوذ من ارسطو – أصلاً – وقد ردّ محمد عبد المنعم خفاجي على قدامة حين ذهب إلى أنْ ليس بين المدح والمرثية فرق إلا في اللفظ دون المعنى بقوله ((وهذا خطأ مابعده من خطأ ، لأن التجربة الشعرية في المدح غيرها في الهجاء ، ولعلّ عبد الصمد بن المعذل (ت ٢٣٠هـ) هو أول من قال بهذا الرأي حيث روى عنه ابن رشيق في (العمدة) انه قال ((الشعر كله في ثلاث لفظات : إذا مدحت قلت : أنت ، وإذا هجوت قلت : لست ، وإذا رثيت قلت : كنت))(١٠) ونحن لانوافقه على ذلك كله(١١) .

والحق ان قدامة وعبد الصمد بن المعذل إنما ذهبا إلى صيغة الخطاب فالخطاب، عندما يوجه إلى حاضر يكون غير الخطاب الذي يوجه

١) ïiø (øø) gáìq : ā ÀĦôä ȷÀÊi .
٢) Ččċ : Ÿájä ĮDzĦţä
٣) Ē : ȳŸèqä øÆòş ŲŸŁÀƨä ÀĦÎôä Ž ŏÀąÀôä .
٤) ČčČ : Ÿájä ĮDzĦţä .
٥) ÀÀĦDZ dbä ĠnąÆę ǯÀÀôä Ÿr āzÊÀţä ÄǯÀôä ÆÊǫ āÀǫõ ĠnÆÊǪą : ČĒ .
٦) ēĐ : ÀĦÎôä dz .
٧) đ- Đ : ŏÀąÀôä : ÀȚM .
٨) čċĚ/Č : ŏäÀĦÎôä òzHz ğÀÓGù : ÀȚM .
٩) čēđ : kĦôä āÀǫõ .
١٠) ČċĎ / Č : ĆÆÔǫş ¢äåÅÜş ÀĦÎôä dbèÀȚ Ž gÆŁĦôä : ÀȚM .
١١) Ē : ÀĦÎôä ÆÊǫ .

إلى راحل ، وإلاّ فلا يمكن تصور ان الفنون الشعرية ترجع كلها إلى فني المديح والهجاء ، ولكن النقاد يجعلون فحولة الشاعر تكمن في قدرته على الإجادة بهذين الفنين معاً ، وجاءت تلك النظرية من أولئك النقاد الذين ينحون منحى فلسفياً في فهم الشعر .

وقد وافق ابن رشيق قدامة فيما ذهب إليه من ان الرثاء هو مديح الميت فقال : ((وليس بين الرثاء والمدح فرق إلا انه يخلط بالرثاء فجاء يدل على ان المقصود به ميت مثل [كان] أو [كرمنا به كيت وكيت] ومايشاكل هذا ليعلم انه ميت))(١٢) وراح يتحدث عن معاني الرثاء وصفته والعادة في الرثاء والغلط في الرثاء ، وكيف يبنى الرثاء(١٣).

وسيبين من خلال البحث: ما إذا كانت قصيدة الرثاء ممثلة لكل الشروط التي أشترطها النقاد القدماء ، ام هي تتجه اتجاهاً آخر.

(٢)

رثاء الإمام الحسين (ع) في الشعر :

يرى ابو الفرج الاصبهاني ان الامام الحسين (j) لم يرث في أثناء استشهاده أو بعد استشهاده في العاشر من المحرم في سنة احدى وستين للهجرة ، بل جاء رثاؤه متاخراً ، وان السبب في ذلك يعود إلى خشية الناس من بني امية إذ يقول : ((وقد رثى الحسين بن علي (صلوات الله عليه) جماعة من متأخري الشعراء أستغني عن ذكرهم في هذا الموضع كراهية الإطالة ، وأما من تقدم، فما وقع إلينا شيء يرثي به ، وكانت الشعراء لاتقدم على ذلك مخافة بني امية وخشية منهم))(١٤) في حين ان المصادر القد يمة تذكر: أن عقبة بن عميت السهمي هو أول شاعر رثى الحسين ، وهو من اهل السنة الأولى ، وقد أورد الخوارزمي في مقتله ذلك وذكر هذا الشعر للسهمي :

ويروي الخوارزمي رواية اخرى يقول : ((سمعت أبا الحسن علي بن محمد الاديب يذكر بأسناد له ان رأس الحسين بن علي (j) لما صلب بالشام ، أخفى خالد بن معدان وهو من افضل التابعين لشخصه من أصحابه ، فطلبوا شهراً فوجدوه ، فسألوه عن عزلته فقال لهم : أما ترون ما نزل بنا ؟ ثم أنشدهم :

ويبدو ان اصحاب المقاتل والروايات ، انما قالوا ذلك قاصدين به الشعراء (الرسميين) اما أهل البيت فقد ورد عنهم رثاء فقد انشدت نساء الحسين (ع) بعد مصرعه شعراً وورد عن زين العابدين وقالت بنت عقيل في نساء من قومها شعراً(١٥).

وقد تكفل موقع على شبكة المعلومات الدولية ببيان شعر نساء الحسين وأهل بيته (ع) ومنهم السيدة زينب (ع) ، فقد رثت الحسين بقولها :

١٢ (. ČdĒ / č : gÆŧĦöä
١٣ (. ČĐĎ – ČĐċ / č : ɟ . ȳ : ÀŢM
١٤ (.ÕÒÎöä äØö ÒMöä åøş Æęş. ēĐ : kĿGäÛöä ÕkÅÕę
١٥ (. Ēđ / č : ɟ . ȳ : ÀŢM

ثم توالى الشعر الحسيني بعد السهمي وخالد بن معدان ، وخلف ديواناً هائلاً في هذا الباب ، ومن يراجع كتب التاريخ عقب حادثة الطف ، وكتب المقاتل ، والدواوين الشعرية القد يمة والحديثة وكتاب الغدير في الكتاب والسنة ، وكتاب التشيع في شعر العصر العباسي الأول لمحسن غياض وغيرها كثير ، يجد ذلك واضحاً جلياً ، وهذه الكثرة في الشعر الشيعي تجعل واقعة الطف تعطي انطباعاً للقارئ ، وتضفي عليه تأملاً في انها من الفجائع التاريخية التي تعدّ اشد وقعاً وأبعد أثراً في النفوس ، ويرجع ذلك إلى سببين ، الأول : طبيعة الواقعة وما أشتملت عليه من فظائع ، والثاني : تجديد ذكرى يوم الطف في جميع الأماكن الشيعية، فان تجديده يحيي في النفوس العاطفة من جديد ، ويعزو عبد الله النعمة الى هذين السببين الأثر الكامل ((في اعطاء هذا النوع من الأدب هذه الألوان الحية النضرة التي يمتاز بها أدب الشيعة عن سواه ، وهما اللذان اكسباه هذه الصبغة النابضة بالحياة والمشرقة بالروعة وجمال البيان))(١٦) .

وقصيدة الجواهري العينية واحدة من تلك القصائد النضرة التي ترقى إلى مستوى البيان العالي ، وهي تستاهل أن يخصص لها بحث لدراستها وتحليلها والوقوف عندها .

(٣)

مقدمة القصيدة :

بدأ الشاعر قصيدته بمطلع خاطب فيه المرثي خطاباً مباشراً ، أستمر فيه إلى نهاية القصيدة ، ويبدو ان مواجهة الشاعر القبر مواجهة مباشرة ، جعلته يتعثر تعثراً طفيفاً في كلماته ، ولاسيما في كلمة (مضجع) في الشطر الأول وكلمة (الأبلج) في الشطر الثاني ، فهو منشدّ عاطفياً إلى تلك الروح الكبيرة التي ضمّها ذلك القبر ، ولم يترك الشاعر نفسه لتختار ما اسلس من اللفظ ، ولكنه أختار ان يبدأ بالفداء لقبر الحسين (j) إذ ضمّ شخصية وضاءة الوجه رائعة بشجاعتها وبحسنها ، ولطالما مدحت العرب الرجل وضاء الجبين ، دلالة على شموخه وعزّه وكبره :

١٦ (٣ÎÎQöä Ôş Ž ãájä . ČđĐ – Čđđ'

ويبدو ان الجواهري لم ينهج – هنا – نهج الأقدمين في مطالع قصائدهم الرثائية حين يبدؤون تلك القصائد بالحكمة أو إثارة الحزن على المرثي(١٧).

وهذا يعني اننا بازاء وقوف على القبر الاّ انه وقوف من نوع آخر! فكانت ألفاظه ألفاظاً (حديثة) إلى حدّ ما ولا سيما كلمتي (تنور) و (الأروع) .

والحق أن الجواهري لم يكن ليسبق الشعراء إلى هذا النوع من الوقوف على القبر بدلاً من الوقوف عل الأطلال ، فقد سبقه الصنوبري وهو من شعراء القرن الرابع الهجري ، بقوله من مطلع قصيدة يرثي فيها اهل البيت (ع) :

ŽęòÅDzĎöä ÆõÀöä Zę
ŽDzÀöä ÞõÅÊä ĮŸę
ȳÀõÃ ĞŕşÀä ĮŸę
Žę Ğŕşó dnę Åŏ
øÊöä óÅÒ¤r ZŸęÁę
(6) ŽŸQƯ ÐÃ ÆəÅHuè
øöä 8ÁƨÃ ĞnäÀÒö ãæş

ولم يكن الصنوبري قد سبق الجواهري في المجيء الى قبر الحسين (j) والوقوف عليه، وإنما تعداه إلى فداء القبر، اذيقول :

١٧ (٣ŸÛţä ğäæ ĞŁÆĎöä ckÆŁÔę Ž ÐØTä ÆÀæ żää ÕĎz ÅţŸŽę : ٣DZżQĎ Åøø¤Ńóş ȷżøøÅţä dnę
ţÂz dnę ÆQĎn ÈŁö ÀŁÆöäş
. č î : Čà : kŁöØTä ȷäżÅå
: ٣ŸÛţä ğäæ ĞŁäÀöä ckÆŁÔę Ž ȳÀQ żäŮ şŮ
ÀnjÃ dzÆÁŁöş ÆÛ¶Ã ÕDzŁŸz äØõ
ǿØ¥ ÅŁÚÅn ŘÅ B ĎĎö ÈŁŸz
. Ďčē : ȳÀQ ŸÃ ȷäżÅå
: ٣ŸÛţä ğäæ ĞŁnŸöä ckÆŁÔę Ž ƑAQţä ÆŁÚöä żäŮ şŮ
Бäżøø¤Ďöäş ĞŁzÀÎţä Æøøø¤n
òÅQę ŸÃ ȷżøøÅţä Åøøø¤ŸQÔĎş
. Čċ / č : ƑQţä ÆŁÚöä ŸÃ ȷäżÅå
: ٣ŸÛţä ğäæ ĞŁöäÆöä ckÆŁÔę Ž ȂÀĎţä ŏŸĎöä żäŮ şŮ
ȂåÅÔQ٣äş ŲŸn Uøz Æøøf Ďq
åÅøøì ƀÀĎ rş ǾÅøä dzzøøę
ÀĎÎöä ȷżŁ3 dnę ÆĎĎ ÆäÅÔÔöä ĆØŁş Û ĚĚČ / Ď : ȷÂöä ÙÕè dzşÀì
. öÅQÀöä dz Ž ŸÀĎöä

(٤)

أن الشاعر حين سمّى قصيدته (آمنت بالحسين) أوحى الى ان هنالك إ يماناً يأتي بعد شك ، وهو ماقد بنى عليه قصيدته فعلاً ، إلاّ أنه بدأ من ختام القصيدة ، التي ينبغي أن تنتهي إليها ، فهو قد بدأ بالإ يمان ثم عاد إلى الشك وقاده إلى الإ يمان ، ولم يكن ليبدأ من الشك الذي يتوقعه السامع أو القارئ(١٨)!!

وكان مطلع القصيدة عاماً بمعنى انه لايوحي على ان المرثي هو امام مسلم ، وعضده بالبيت الثاني :

jÀÆɔã ğÀHvÁφ dn Ę₲ʒÀã
ţzrã ÀTÀÒÊn dnş sgşǿ[8]

الذي يشير بان المرثي لم يكن رجلاً عادياً ، بل له قدسية آخذين بالحسبان ان (الأبلج) و (الأروع) في البيت الأول اعطيا مثل هذا التوجيه بشكل عام ! .

وظل تنامي الأبيات والأفكار متلاحقاً ، يستوعب مكانة المرثي ، وانه رجل ليس ككل الرجال ، فهو (الأبلج) وهو (الأروع) وهو أعبق من نغمات الجنان ... ودعا بالسقيا لقبره ، وهي عادة قد يمة يدعو فيها العرب بالسقيا للقبور ، ونهجه نيّر ، وذو مجد مصون ، وهو الوتر الذي لاثاني له ، فلم يشفع (إلى الآن) بثان ، وهو بعد هذا ، عظة الطامحين وهذا ماجعل الشاعر (يصّعد) في أفكاره ، حتى توصل إليه ليكون مناراً ، لكل مقتدٍ ، وقال له : تعاليت ، كل هذا جعل الشاعر يأتي بالفكرة تلو الفكرة ليحيط بصفات تضمنت في هذا القبر ، يشد القارئ ويوجهه انه بازاء شخصية مسلمة فذة .

وقد استوفى الشاعر ثمانية ابيات ليهيئ النفوس إلى ان تكون بمقابل رجل وصل إلى مراتب الرجال العظام تاريخياً ، وكان الإمام الحسين (j) (عظة للطامحين) بمقابل القنّع الذين يرضون بالقليل ، ولم يضعوا نصب أعينهم ما يطمح إليه الرجال الأفذاذ

١٨) FAǫţa ǿãÀd ɔŸʒ ǿÀè ÁÔz Û Õòáe Ž ʂʒÆa BÀŁàzɔã dÒÀ Bş
ĞɾÂŁ Bŭ ğáã Yòã ĞDzŒQÁõã dn Bŭ ÀTQÀÌŒ dn ĞÆÆÆĤõã ¢ĸÆŒÔę ÙÆa ÀnÉÁʒ
ÀŢÀʌş Û ĐĐċ / Č : FAǫţa jàzÀå : ÀŢÀʌ Û gÀn òşŭ ŁŁàzz ÆĤa ktŸÊţa
.čĎđ'/ččĚ : FAǫţa ʒn ¢àÀǫõ Ž ÀT kÊg ¢ù ÕŒŸƠ :

، وهذا تعريض واضحٌ بالمجتمع وهجاء مرير له ولخنوعه ؛ نستمع الى الشاعر قائلاً :

¬8zÀÛõã¼ ȳzʌ ÕnzŒô ʂŁʒǿş
ţÀÔn dn Õřrój ʂŒÕèş
âzÁÀõã ÈĢШ ÕŒŸʒ ʂφÂgş
ƁŒŦţã ÀĘÁõã ÕDzŒ ɔŸʒ
òØʌ jã dn ȮÆDzţ ʂφzòş
ţÆĢn dn ĢÀãŭK Kφã Àn
ƁÁÎʌ B jǿã Ɓŭ pØz
dbÆõÀ˙ţã Ž ÀKzõã ÀŦʌŭ ÀŒz
ƁĆę ŁŁÉđ dbʒ kŁŸô
ȳÀŢHõã kTÀÛõã ĞŢʒ ÀʌŞ
ţÂÁn dn ȮƎę ȮǿzãŞ[9]
8zQHvŸô ţÂÁn dn KŒõÀHK

وقد ساعد حرف الروي (العين) الشاعر على إثارة الحزن ((لأنه من الحروف الحلقية التي يعبر بها عن الحزن العميق))(١٩) مثلما ساعده استعمال الكسرة مع هذا الحرف لأنها ((تشعر بالرقة واللين))(٢٠) .

(٥)

ثم انتقل الشاعر إلى مرحلة جديدة ، وفكرة اخرى ، وهي ان القبر قد صار مسجداً ، يسجد فيه الساجدون ويركع فيه الراكعون ، فقد احتوى القبر على كل هذا ، وهو لم يكن بالأمر الهين ولم تحصل عليه أية شخصية اخرى ، ثم يعود الجواهري إلى نفسه وكأنه قد حوّل الحديث من الآخرين إليه فقال (شممتُ ثراك) إذ به حاجة ان يشم (نسيم الكرامة) الذي طالما تشوق إليه وكأنه (ملّ) من قناعة القنّع ، ويتعمق الشاعر بعد ذلك في عاطفته وفي اندماجه بانْ (عفّر) خدّه مكان خدّ الحسين الذي وقع على الأرض إلاّ انه رفض ان يضرع للطاغوت وما يريده منه الظالمون . خدٌّ وقع على الأرض ولم يضرع ، وداست عليه (سنابك خيل الطغاة) ولم يخشع ، يقول :

ÁDzè dbtz ǿzŁÁõã ázŸk
ʒõǿ dnş ¢ĘφÀDZ ɔŸʒ
ŁĘÊÀõã ÆŦz ÖãÀǫ Ǩtɔ
ʒÖŸã dn ĞnġÀÒõã ŁĘÊφ

١٩) . ČĚ / Č : ÀŦzÀòş ÀŁzUş Ğ8Ÿõã ğãzòŭ Ž ÙŒHvţã
٢٠) . ĒČ / Č : ÀŦQʒÀʌòş ãÀHõã óÀHîã ŁŦz Bŭ ÁîÀţã

dzäÀ()ëä Q£Ш Bǽn ğÀÀ3ş
ţÀÂ Bş ?ĄÀǩ ǽn
gÀ8Ûöä Ö£n Õäǽè Q£gş
(10)ƁÎƐ Bş ¢£Ÿ3 ǨöÀDZ

وبهذا يحيلنا على شخصية عزَّ نظيرها في التاريخ ، وكانه اراد تحويل صورة الحسين (ع) إلى صورة (عالمية) تألقت وارتفعت بجراحها ، ولم تكن صورة (محلية) او (مذهبية) كتلك الصورة التي رسمتها بعض القصائد لبعض شعراء التشيع ، فمعظم الناس يركنون للإستسلام في لحظات الضغط الهائل الذي يقع عليهم ، وقد سمحت الشريعة السمحاء بان (يكفر) الإنسان إذا ما تعرض لمثل هذا الضغط شريطة ان يكون قلبه مطمئناً بالإيمان(٢١).

(٦)

ثم يقول :

ğÀÀÃõÓöä ğøÀù Ǽęş ǨŸnş
ƁzøÀ BÀ3 Б Ʉgş
ôÀ£ĄÀzzù öƎÖä ǨÀûş
ţǼ©ţä Ł£Ÿţä ĞĦnzÔä
ǴÀÂRöä ðäøş dnţ pǼ ɹüõ
(Ƀ©òɹä gøzQ©n) ðäÀþ
ţzÁĄÀä BÀ3 Б ǼQ
ǨÖ©ùä ¢äÀdţ Ž Ùţơ
ţÀQţ àÀÌ Bǽ Ł£ÂäŞ
3©Ên ŞÀ ¢Aţ ÆəÓţ ɔŸ3
ţÀư ÆÈìzÎĦţ Ànüä
Ktţäöä ÆÀǼDZ dnţ òǼGQõ
ó¼8Ôöä âzÀÀöä ΒØŁ 3zǼǨş
(11)ƁÀnä ÿÀg Б ȿzzn

مايزال الشاعر – في الأبيات السابقة – يخاطب القبر مرة ، ويخاطب الحسين مرة اخرى ، وهو في فناء هذا القبر ، ولم يكن الشاعر قد اطلق لنفسه (الحرية) في التعبير (غير المقيد) فهو في حضرة مقدسة يخاطب صاحبها وجهاً لوجه ، وهذه لحظات ترافق كل زائر ياتي القبر فيؤخذ بـ (هيبة) تنتابه لأول وهلة ، ولكن الشاعر لم يلبث ان افاق من (الشدّ) وانتبه إلى شاعريته ونفسه فقال هنا (وخلت) وهنا إيحاء برجوعه إلى شاعريته (الحالمة) فقد طارت الذكريات به ، وأية ذكريات ، أنها الذكريات التاريخية التي يسمعها في تلك (التعازي) الحسينية او ماقالته كتب المقاتل من ان احد افراد الجيش الأموي أراد ان ينتزع خاتماً كان في أصبع الحسين (j) فلم يقدر فبتر الأصبع ليأخذ الخاتم(٢٢).

فالشاعر (يتخيل) وهو يطوف بالقبر (طوف الخيال) ان يداً من وراء الضريح مضمخة بالدم تشير إلى عالم انساني ، هو نفسه العالم الذي قطع الأصبع ليأخذ الخاتم ، هو عالم السباع وان تاب ، وان كان عالماً انسانياً – هذه اليد مدّت – في عالم الخيال – تريد ان تبدل الضمائر الجافة الميتة بضمائر اخرى خضراء فيها تنبض الحياة ، هذه اليد مدت لتحول النفوس الصغار التي تعودت على القبول ، ولم تفكر في معالي الأمور ، إلى نفوس كبيرة ، ولعل الشاعر استعان بالخيال وبما وراء الطبيعة لخلاص البشرية من الضيم والخنوع لأنه يأس من الواقع وقدرته على التغيير .

(٧)

ويقول الشاعر بعد هذه الأبيات :

ƱŢQŸ Ę3Àò dnţ ǨöÀĦǨ
Ƀţ£Ÿ ǧ£DZäå ǯƁǼǨ ɹÀz
ğÀÕ3ÀÔöä ɔŸ3 pǼÕg ȳøüǨ
ƁÀǨ Bş pKţŕ ðdǨ B
Ł£ÎTä Àqä ÆƩΣä óØ©ǨBş
ţóÂǨ Bş ¢Q£Àg Ǽęş
ðÀţÊöä Ž ÀZDZäÀää Õơ Bş
Ƀę£Ǽ Bş ŝŕøä ğÀǨ Bş
ĉnÂDZ dnţ ÀÎöä 3ÛÕǨ Bş
ţhuǨ Bş ÀəÀţRöä Ôdş

(٢٢) ¼ : (øŁđđ'Đ ğ) ƱŸΣä Áy'dæ¡ ɹäÂg¡ä Kǯţ ā Ä©õ Ž ðÀDZ(dæä ÆŁÊöä òÀęş Ù Đē : ¬¢ĦG©öä 3Ûęş ƑŸÒöä Ł£Ÿè dæ òǼX ¢Q¡Àn Ónİş ¢£Ÿ3 öÀnÆöäş ¢ĦG©öä Ž ŹÀĄä ?äÀz òǼX öÀDZş (øŁđđ' ğ)¬âşşÀù øäzq¡ä øÀШ Ž ƱÊŸDzţä ÕÔţş Ù Đđ : 8zŸöä ¼ ŹÀĄä ÓnàŞ ¢ĦG©öä 3ÛÕz ¢äQõ Ž ÿĄÕţä àäàÀää Æ©3ş Ù âşşÀù dæä dnţ Đē î d'c ðÂDZ Čc ÆŸf .ŝRÀä âşşÀù dæä ĞÀäşó čĚĚ î (ţ) ƙÊΣä ÕQÔţ :

ȩȩŸȩş ȩÀÕȭ ɸţ ā•Ů ȩɸȩş ÆĦȩ ɸţ ȩ!Àȩ ÀÀÕ ɸţ : БÀĦǨ òȩ (čČ Ł£ŸŞ ȩ!ȩ ɸţ ÆŔq Ł£ŸŞŸ póǼÕ ÀÀÓȭȩ ȡÀĄĨ ɸţ ɸÓȭş ɹŞqȩ ɸȩŞÛţ . Čcđ :ÕHѡää gøzè Ł£Ÿ3 ąäØ3

ļŁ Åtłz âÅÅöä ȳÆÔǩ Bş
ƁȒşjä ÊĉĈļä dnę ¢ËŸ3
ĢÀÛę Õŷz dnę ǨĢöÅĤǩ
Ƃèşjä ózHuţä ɔŸ3 ósÆΛ[12]

ليرجع مرة أخرى مخاطباً هذه النفس الكبيرة ، وكأنه لم يرد ان يتركها لحظة ، فهو مغرم بها يخاطبها مباشرة ، وأراه قد وجد مطلبه ، وهو يبحث عن نفس كبيرة ، لينسى تلك النفوس الوضيعة التي لم تحرك ساكناً ازاء ما يحصل للشعوب المغلوبة على أمرها ، وهنا يخاطب الحسين (j) بقوله (تعاليت) ليدل على عظمة نفسه وكبريائه ، فهو الصاعق الذي يلمع في الدياجي المظلمة ، وهو ليس كالصاعقات التي تحرق و تحول الزرع إلى هشيم ، اذاًيبقى الحسين (j) صاعقاً ينير الظلام ، فهو وهج منير في وسط معتم ، تلك الصواعق لم توجه الناس ، ولم تدلهم على طريق الخير ، ولم تغير سلوكهم ، بينما غيّر الحسين (j) النفوس ، ويبقى مرة أخرى فلك قطرة يدور على الفلك الأوسع! .

(٨)

وبعد هذه الأبيات جميعاً ينتقل الشاعر إلى (مديح) الحسين (j)، فهو يعدّد صفاته (المدحية) كما مرّ عند النقاد وفي صدر هذا البحث فيقول :

Åŏ ƑÊģş ózQĢöä dbää ÅĘz
Ʉʒǽü Åę ÕõŏŸ3 şǫÅtłȒ
ÅŦŸĴę ȝR̂Λ B Ɣöä dbää Åʌş
ƁȒÄǩ Bş ¥ƒþ ÕŸĴtõ
ĢÀÛä Ɣä ǩÛĢöä dbää Åʌş
ţÂǫjä ÄèÅΣä GÄöä dbää Åʌş
ǴQÅΛΜ B ļìÅŁ dbÔq Åʌş
ţÄÅą Bş ÕΛę ÄŁà Åʌ
åzŸ1ä ÆĘÎǫ dnę ¥ȍäşÅʌş
ƁŸÛŢÅä gÆĘÔÕöä ȳÀQn
ȷÅnąÂöä ā ÅõÄä ƧózQöä ǨÊΛ
ƁŸşÜ dnşş ļĘÕQÊę dnę
åzŸ1ä ÆõǾ ÄĘÊǩ ǨǫÙş

(13)ƁGQΛ ¢ǒ ÆDzQÊǩÅę

فهو ابن السيدة فاطمة الزهراء وتلقب بـ (البتول) وهي سيدة نساء العالمين (h)(٢٣)، لذلك قال الشاعر (وحسبي بها) انها ابنة المصطفى الكريم (s) ، هذه البتول وضعت حملاً لم تضع النساء مثله ولم ترضع مرضع مثله فهو خير ابن لخير أم .

ذكر الشاعر أم الحسين (g) أولاً ثم عرّج على ذكر أبيه مادحاً إياه بـ (الأنزع البطين) ولا أدري لمَ أختار الشاعر هذين اللقبين مع انهما أقل مناقب الإمام علي (g)(٢٤) .فمناقبه لايدانيه فيها صحابي آخر ، وإذا كان الشاعر لم يفلح في أختيار مناقب الإمام علي (g) فانه افلح حينما قدم أمه الزهراء على ابيه الإمام علي (g) لأن قدسية الإمام الحسين (g) إنما أتته أولاً من أمه ، وهذا ماعرفه اعداؤه قبل شيعته(٢٥)وتلت هذه الأبيات ابيات غنائية في الحسين (g) .

وقد أراح الشاعر نفسه وتركها على سجيتها فالحسين غصن هاشم الذي لم ينفتح غصن ازهر منه ، وهو واصل من نشيد الخلود ختام القصيدة بالمطلع وركبه يسير بانسجام من دون تعثر كناية عن صحة مبدئه وعقيدته إذا ماتعثر الآخرون ، كناية من ضلالتهم وتخبطهم ، وقد وفق الشاعر إذ نقلنا إلى اجواء هي غير تلك الأجواء الحزينة التي ترافق المعركة وأحزانها عادة .

(٩)

ينتقل الشاعر بعد تلك المقدمات التاريخية والمأساوية والغنائية التي مرّت علينا إلى (نقطة اشعاع) القصيدة التي من أجلها نظمت ، واراد من خلالها اختبار نفسه عن طريق الشك ، فتناول المسألة تناول الشاعر الفيلسوف الذي يحكم الشك ليصل إلى الحقيقة وكأننا امام فيلسوف يتبع منهج (ديكارت) في الشك المنهجي من دون ان يقضي على تماسك قصيدته

٢٣ ((ĞʌɐäÕŁÙ öÅÊǫ gÆĘȅ ĢŧùÅz)) : (î) ÆŧŢ ƑÁöä òÅę(
. (ȳŸÊöä ÅŦĘŸ3) ĢŧùÅz ÆęÅʌą ā Åä Û đđĒ : ƁøÁÅĢöä ǴĘHùò

٢٤ Ÿä dbä ƲŸ3 ÆęÅʌą ā Åä ƁøÁÅĢöä ǴĘHùò ɔŸ3 ÙÕz ÕłĢä(
ɔŸ3ş ¢QǫÅÒǫ ɔŸ3 òÆQó (¢Λ3 !ä ô ø) ǩÊΣä ŸÜ ƲɔÅŦä ƲĪÀÕöä ÆöÅù
. đĐē : ¢Qôlunę

٢٥ : òzÕΛ ƲŸ3 dbä ǩÊΣä ÕǩÅę ÕĢęÍ(
ÁĢŁǽ şä ĞŘz ŸÅõø Àęşä
ÅøGDzHuţä ŌŸţä ǨŸQę Ɔä
ÁääşÅnąä âÅÅöä Ǩn ǨŸQę
şĢÊǫ ȷzĢÊΛ æÜ ļŁKnş
¡ đČ / čČ : ƲnąàǿäzÁŸö ǩÊΣä ÕQÕǫ : ÀŢΛşÛ ēĎ : ǩĘĢÅÛöä ÕǩÅÕę
. ĞʌäşÀöä Ž ÕĘŸę 8¥Qnʌä

وغنائيتها ، فنظر إلى يوم عاشوراء نظرة (المحص) الذي لم يكن خائفاً او مرتهباً بما نقل الرواة ، ولم ينخدع بما تعارف عليه الناس جرّاء هذا النقل ، ولم يكتفِ بهذا وانما راح يفتش عما راكمته السنون وما تداولته من أصداء حادثة الطف المفجعة ، وازاح اللثام عمّا يقوم به الدعاة والمخلصون الذين يرتقون المنابر خاطبين بما جرى وما كتب المتحمسون عن ذلك اليوم ليحيوا به ذكرى استشهاد الحسين (g)، وما تقوم به النساء من مظاهر الحزن والعزاء على ابي عبد الله ، فالشاعر عرض كل هذا ملخصاً لكل المراسم الحسينية والشعائر المعروفة !

وهذه الأمور بشكل عام تخص المعارضة ان صح التعبير وهي شيعية من جميع ابعادها ، يقول :

ÐÅÙåñ Ž ÕnzÅ ǨŸÇ
ÚĦŧÊę Ž Õǩzò ğåâóş
ÆŐóû B öÄnû ǨÔŢş
ţÁènû Bş ¬gåşÀõä¼ ÕÕÅ
ÐHÙÅţå ÕąâÅág õäÆòÅ
kÅÊõä ÐşâÅ ÕĦõ : ǨŸęş
¬ÐDzè¼ dnş ¬kŸèÄn¼ dnę
gÅ3Æõä ȷzÔŸÁţå Õǩó Ånş
ÐnâjåŞ ÀĦÎõÅ ÁąÔõâş[14]
ŏÅÊţå ÕĦŸ3 ¬ğäÄəÅǫ¼ dnş

فنحن نقرأ لشاعر مثقف اراد ان يخرج على العالم ، ويبين لهم ان ماعنده انما هو شيء مختلف ، لابد من ان يقرأ ويلاحظ ، ويغير ما تعارف عليه الناس ومألفوه .

لينتقل بعد ذلك إلى الجانب (الرسمي) والسياسة فيقول :

يقول لعل تشريد السياسة لكل من يتقرب إلى الحسين (ع) أو يلتصق به أو مايكون قريباً منه قرابة روحية او مادية له علاقة بتزويق حديث الحسين (ع) وتحبيبه إلى الناس ، لينال متعة وجاذبية ، فالشاعر تناول الجانب (الشعبي) إلى جانب الأمور (الرسمية) ولم يدع شيئاً في هذا الموضوع ليزيح (طلاء) القرون ، وكل مايتعلق به من خداع ، وصولاً إلى الحقيقة في ذاتها ، وكأننا بازاء حكيم يقدم المقدمات الصحيحة ليحصل على نتائج صحيحة متبعاً منهجاً علمياً محكماً يقوم على الموضوعية بعيداً عن الذاتية ، وهاهو الآن يصل إلى النتيجة التي أتت من التمحيص والقراءة الواعية ومراجعة التاريخ ، وقد وجدها ناصعة لم يكن شيء اروع منها ولا انصع إذ يقول:

ǨÆDZ ÅŧŁz ĞèÅĦÊõä ÕĦö
Ч3ÆnŲ şä ÕÄ ĘòŗƨŸ3
ÐÆÅ dnŲ ÕõÕ ÅŁÆÅÀÎǩş
ÐÛÕnŲ şä ÕĦŸŁŗ ÕĞŰ
ĘDzÎõä ¬ȷzõ¼ ş ÕäØõ ÕĦö
ÐõzŲ ǰì ÕÕÄ ş3zõş
kÊΣä ǪÅég ĥÅĞÛòÙ Ž pÆΛ
ÐǫưÇõ ÆÅøÙ ȷzŸä
ğàÅä õÂǩ Åţş ǨφÄõş
ЧĦţȷä ÅDzŸţä Ęǫäzõä ÆΛ
ßÛn åÀǩÅŲ GŲ ş3ÅAò
ÐÂÕǩ åÀǩ ÅŧŦŲş Zţõş
ȷşÀÕõä ðŸù Ǩgää Åţş
ţÆÅţä ƀ3 ţäÆ]ä ÀǪèş
Åőäæ Ž ĞÕĦÕΣä ÆΛøä
[15]ÐĞÛǩ B ČĦĦĞÛõä K8ä

ţóä B gøzò Ž ÕǩÆDZş
ţşøä ŗş ÅŦÅŲ ļŢ3Åä
ȷzÔΛ ȷä dnŲ ţşøÙÙ !ääÅŋş
ÐRĞţä ƨŸ3 şÅęş ÕŧΣ
- ЧǩÅǩÅŲ ȷşå ı ЧÕǪǩ ȷåş
ţÄÎõä Õèjåæ õKŧŗ
kĞõä Kn ğzţä ļĦÛǩ ȷåş
ÐŗÀõä Бÿ ¬kŸŦõjä¼ dnŲ
ÐĞǩ dnŲ ¬ãjä¼ Ħæ Knş
ļìÅŁ dnŲ ¬ȳjä¼ Ħæ Knş
øşÆÔõä KJN ãÅЧÔõä Knş
[16]ţóæjåş õŏÅęş åzφÅõ

وراح يعدد تضحيات الحسين (g) من بنين وكهول واخوة من الأم (اولاد ام البنين وهم العباس واخوته) واخوة من الأب والصحاب ثم يقول :

ÕHǪǫä B öäÄõæ ǨèÆęş
ţáÜ Bş gÅÕǪõä ãÅĦǫ

õʒÒÎöä ÆMøş ÐøÉò ǨtĦǔǨ
(17)ßäøjİä ¢qäøÉƛ ǰÎA

وهاهو عاد من جديد ليقدس ذكر الحسين (ع) بمقابل دفع الشك ، فهو لم يلبس ثوب التقاة ، وإنما كان يقرأ قراءة الموضوعي فلم يجد امامه سوى الحسين (ع) يقتحم صدره ليزيح الشكوك والقلق وكل مايتعلق بهما ليدفع الإ يمان ، ليتربع الإ يمان على قلب الشاعر واستطاع ان يعبر عن ذلك تعبيراً دقيقاً ، فبعد ان قال ان سحاباً صفيقاً اضفى عليه قلقاً وفزعاً :

ā ÅDzΣä ĘĿÅò ā ÅĦùè ɹäøş
(18)ţ ÂÅţä ĘŸÕöä dnę ŧĕŸ3
: gÀ̀ì ÅGę ¢ÆĦä òÅę
ğ ÅGĿÛöä dnę dzÅMø ǨGĿş
(19)ßÎÕA Bş ƙGĿÛöäş

وظل الشك يلح على الشاعر – شكه وشك الجدود– وكأنه متواصل عبر الأجيال :

ʒr̀zę ʊ3 ǯÀn ÂǩÅę ääĕů
ßr̀zę Бů åÅ3ş ŷüǩ
ʒę ÅtĿz ÕÎöä Ÿ àÅDZş
ŦĦę ÅtĿz ÕÎöä Бů ¬åşÆƨä¼
(20)ßGÎę ȳÆä ¬ãÆGę¼ dnę
ÖĿöÆöä ¢ĿŸ3 Ǩtęů ɹä Бů

فالدليل قاطع ولا يمكن ان يدحض ، وعندما تناول الدليل قال:

åÅĿÖöä ÕĿöů ѕ3zù ĮŸèÅz
ßÛTţä ¢qÅ3ææä ōÅÛ3äş
źÀ̀Oz dnę Įŷşů Åę ğøzAz
ŦĦŸr̀ä dnę ǯz3ä Åę ǨnÆęş
ʔÀ̀Ar dnę ɹÅzů ǨAnŮş
ßDZÀ̀ę dnę ÕÎöä Ž ¬ÔÖĦöä¼ ʔzè
ǒÅtÊöä Ŧgşş ¬ǒÅäqä¼ ɹÅä
ßGAę dnę gzGÅöä ŘĿzş
Ò̀öÅn ¬ÀĿzDZ¼ Ž ʒtθ
(21)ßtÛţä ¬ ô Å3¼ ʊ3 ¢huǩ

وبهذا القول نوّر الحسين (ع) ما اظلم من فكر احاط بالشاعر ، وقوّم ما أعوّج من اضلعه كناية عن تقويم كل شيء غير مستقيم ثم قال (آمنت) ليختم قصيدته بهذا الإ يمان وهو (تتويج) لعنوان القصيدة (آمنت بالحسين) فهذا الإ يمان إنما هو إ يمان بالعقل ولا شيء سوى العقل يمكن ان يرجع إليه الشاعر وغيره في كل شيء يحيق بهم ، وقد ربط موقف الحسين وأباءه بالوحي والنبوة وهي كلها من منبع واحد ، وحلا للشاعر ان (يغير) على مصطلحات الفلاسفة ومباحثهم في (الجوهر) و (العرض) فالجوهر كنه الأشياء وروحها والعرض هو الزائل غير المستديم .

(١٠)

هذه القصيدة بنيت على فكرة واحدة هي (الإ يمان) وهي من القصائد ذات (الوحدة العضوية) التي يرى بعض النقاد من امثال العقاد والمازني ان الشعر العربي يخلو منها آخذين بالحسبان ردّ طه حسين على هؤلاء النقاد ، وقد بيّن عميد الآدب العربي ان الشعر العربي فيه وحدة موضوعية او عضوية(٢٦) وجاء ذلك في اثناء تحليله لقصيدة لبيد بن ربيعة العامري ذات المطلع :

ÅTnÅÕnş ÅTŸT ǿÅMÆöä ǨÅ3
(22)ÅTnÅDZǿş ÅTzd ŷüǩ ąl n

والحق ان الذي جعل قصيدة الجواهري متماسكة في وحدتها– مع ان الشاعر ينتهج نهج الأقدمين – انّها من قصائد الرثاء التي تتحدث عن غرض واحد ، ولم يكن الشاعر بحاجة إلى ان ينتقل إلى اغراض اخرى ، وقد حاول ان يحافظ على وحدة القصيدة إلا انه كان يترك فكرة يتحدث عنها لفكرة اخرى ثم يعود إليها بعد حين .

(١١)

كان الشاعر (صانعاً) ماهراً ، قد أحكم نسيجه الشعري ، وكان مجيداً في لغتهِ غاية الإجادة ، فلم اجد عنده خطأ واحداً حين عرضت مفردات قصيدته على المعجم ، فضلاً عن ثقافته العالية ، فقد قرأ كل ما يتعلق بواقعة الطف تاريخياً ، وأطلع على ما كتب في هذه الواقعة ، وسمع محاضرات وخطب ، إذ أحاط بالموضوع من جميع جوانبه وزواياه المختلفة ، فقد كان متمكناً من فنه ولغته غاية التمكن ، فهو يضاهي فحول شعراء العربية

٢٦ (ÀṬM : ǒÅĦäøjİä ǪMÆǥ : ÐČ – Ďċ / Č .

الأوائل ، ولا سيما شعراء العصر العباسي ، ان لم يتفوق على معظمهم ، وقد لمس بعض الدارسين هذا عنده لمساً حقيقياً فقال عنه : انه ((منبري يتعاطى مع الألفاظ ببراعة))(٢٧) ، وان ((صعوبة كلمات الجواهري تزيد من اعجاب الجمهور بها)) (٢٨) وقد نظر آخرون إلى ان قصائد الرثاء عند الجواهري تحولت إلى حماس او حماس سياسي ، وكانت معظم قصائده وغرر شعره قصائد رثاء تحولت إلى حماس سياسي(٢٩) .

وقد تلمس البحث جانباً من تسخير الجواهري للسياسة وتمكن من اسقاط الواقع على قصيدة الرثاء .

(١٢)

أن الملاحظ على الشاعر ايضاً انه لم (يقحم) الدين ، ولم (يشتم) قتلة الحسين (ع) شتماً رخيصاً ولم يذكر اسماءهم بل كان موقفه (محايداً) فلم يقدم الإمام الحسين (ع) على انه رجل دين ثار بوجه ظلم احاط بالمسلمين ، وكان قيامه على الظالم من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل قدمه على انه ثائر وحر يمثل الثوار والآحرار في كل زمان ومكان ، ومع هذا فلم يبخس حق الإمام (ع) (الديني) مثلما لم يبخسه حقه كونه ثائراً وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر وقدمه على انه قدوة للطامحين العظام ولكل الثوار والأحرار في العالم .

وكان الشاعر قد تناول صراع الخير والشر (الأزلي) فهذا الصراع مازال موجوداً وحاول الشاعر ان يرسم صورة الخير المتمثلة بالإمام الحسين وهي صورة لايصل إليها إلا اولئك العظام الذين غيّروا وجه التاريخ وكانوا مناراً يضيئون الطريق لما يأتي من بعدهم ورسم ايضاً صورة الشر المتمثلة بتلك العصابة التي قتلت وحرقت وسلبت وأسرت ولم تراع حرمة رسول الله (d)

كل هذا قد جعلني أحلل هذه القصيدة واتجرد لدراستها من دون القصائد الكثيرة التي رثت الحسين ، فالجواهري قد ألبس الموضوع ثوباً جديداً ، احسب انه قد اجاد فيه وابدع وانه نظر إلى الشعر الذي تقدمه فلم يأخذ منه إلا بمقدار ما يفيد الفن ويسمو به ، فالشاعر آخر (الكلاسيين) الذين لم ينسلخوا من القديم ولم يتجاوزه وحافظوا على ديباجته وإشراقه .

الخاتمة

بعد ان انتهى البحث من الخوض في دراسة عينية الجواهري خلص إلى الآتي :

ان العينية – وان بدت لأول وهلة قصيدة رثاء تعدّ من الشعر الرثائي في شخصية الإمام الحسين (g) – إلاّ أنها حملت طابعاً انسانياً ارتفع بها الشاعر إلى مراتب من يصف الرجال العظام ،ويسلط الاضواء على مواطن الاقتداء التي جعلت تلك الشخصية قدوة للطامحين والثائرين والأحرار .

ان هذه القصيدة وان كانت حديثة إلا انها نظمت بلغة محكمة ، هي اشبه بلغة فحول شعراء العربية وكانت ألفاظها من الدقة بمكان ، فقد احكم ألفاظه مثلما احكم معانيه ، وارجعني إلى العصر العباسي واضطرني ان اراجع دواوين كبار شعراء العربية القدامى .

اظهر البحث ثقافة الشاعر التاريخية ومعرفته الدقيقة بالحوادث وما رافق المعركة من تفاصيل .

ان الشاعر وان نظر إلى الآخرين واقتفى اثرهم ذو شخصية بارزة واضحة اخذت بشخصية الإمام الحسين (ع) وتأثرت بها تأثراً استجابت لهاشاعريته وكانت الاستجابة واضحة في اثناء القصيدة .

لقد استثمر الشاعر موقف الإمام الحسين (ع) لينفذ منه إلى هجاء المجتمع وتقريعه وذمه والحديث عن النفوس الوضيعة.

وجدت في القصيدة مديحاً ، الأمر الذي يعد مصداقاً لقول النقاد الأوائل من ان المرثية جزء من قصيدة المديح.

أظهر الشاعر قلقه وبحثه الذاتي عن الحقيقة ولم يؤخذ بما نقله الرواة .

ان الشاعر لم (يقحم) الدين في تناوله لشخصية الإمام الحسين (ع) بل كان الشاعر (موضوعياً) قاده الشك إلى اليقين.فهو قد اكسب موضوع الحسين عليه السلام – مع تكراره – حيوية واعطاه دفقاً جديداً .

---

٢٧) http://www.nizwacom.p6 : ÒsÀÓöjà 3ztà ..

٢٨) j . ȳ : p.7 .

٢٩) j. ȳ : 11 . p .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

الأدب في ظل التشيع – عبد الله النعمة – دار التوجيه الإسلامي – بيروت – ط٢ – ١٩٨٠م .

بحار الأنوار – تأليف محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) – المطبعة الإسلامية – ط٢ – ١٣٩٤هـ .

التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول – تأليف الدكتور محسن غياض – ساعدت جامعة بغداد على طبعه – ١٩٧٣م .

حديث الأربعاء – الدكتور طه حسين – دار المعارف بمصر – ١٩٥٤م .

ديوان ابي تمام – شرح وتلعيق الدكتور شاهين عطية – مراجعة الأب بولس الموصلي – دار صادر – بيروت (د.ت) .

ديوان الجواهري – محمد مهدي الجواهري – طبعة كاملة منقحة في خمسة مجلدات – مراجعة يوسف الهادي – بيسان للنشر والإعلام – بيروت – لبنان– طبعة ٢٠٠٠ م .

ديوان الصنوبري – احمد بن محمد بن الحسن الضبي – تحقيق د. احسان عباس – دار صادر – بيروت – ط١ – ١٩٨١م .

ديوان أبي الطيب المتنبي – بشرح أبي البقاء العكبري البغدادي – ضبط نصوصه واعد فهارسه وقدم له الدكتور فاروق الطّباع – شركة الأرقم ابن ابي الأرقم – بيروت – لبنان – ط١ ١٩٩٧م.

ديوان لبيد بن ربيعة العامري – دار صادر – بيروت (د.ت)

ديوان الهذليين – الناشر الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٦٥م .

الرثاء – د. شوقي ضيف – دار المعارف بمصر – ط٢ (د.ت) .

الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام – بشرى محمد الخطيب – مكتبة الآداب – جامعة بغداد – ١٩٧١م .

شرح سقط الزند لأبي زكريا علي بن محمد بن الحسن التبريزي (ت ٥٠٢هـ) وأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ) وابي الفضل قاسم بن حسين بن محمد الخوارزمي (ت ٦١٧هـ) – أشرف على العمل د. طه حسين – تحقيق مصطفى السقا وعبد الله رحيم وهرون ابراهيم وحامد عبد المجيد – القاهرة – ١٩٦٤م .

صحيح البخاري – المسند من حديث رسول الله (ص) وسننه لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) – دار إحياء الثراث العربي – بيروت – لبنان – ط١ – ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

طبقات فحول الشعراء – تأليف محمد بن سلام الجحمي (ت ٢٣١هـ) – قرأه وشرحه (ايو فهر) محمود محمد شاكر – دار المدني بجدة – ط٢ – ١٩٧٤م .

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦هـ) – حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الجيل – –ط٤ – ١٩٧٢م .

فن الشعر – ارسطو طاليس – ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمن بدوي – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ١٩٧٣م .

كتاب العين (مرتباً على حروف المعجم) – تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) – ترتيب وتحقيق د. عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ٢٠٠٣م .

كتاب نقد النثر (المنسوب) لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان (د.ت) .

لسان العرب – جمال الدين محمد بن منظور المصري الأفريقي – دار صادر – بيروت – ١٩٥٦ م .

اللهوف في قتلى الطفوف – المؤلف علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ) – منشورات المطبعة الحيدرية – النجف – ١٩٥٠م .

مثير الأحزان – تأليف نجم الدين محمد بن ابي البقاء هبة الله بن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ) – منشورات المطبعة الحيدرية في النجف – ١٩٥٠م .

المحيط في أصوات اللغة العربية ونحوها وصرفها – محمد الأنطاكي – مكتبة دار الشروق – بيروت – لبنان – ١٩٧٢م .

المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها – عبد الله الطيب المجذوب – مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر – ط١ –

١٩٥٥م .
مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) – أشرف على تصحيحه إبراهيم الزين – دار إحياء علوم الدين – بيروت – ١٩٦١م .
مقتل الحسين. للخوارزمي ابي المؤيد الموفق بن احمد المكي (ت ٥٦٨هـ) عُني بملاحظته والتعليق عليه الشيخ محمد السماوي – مطبعة الزهراء في النجف – ١٩٤٨م .
مقتل الحسين عليه السلام. تأليف السيد عبد الرزاق المقرّم – مطبعة الكوثر – ط٣ – ١٣٨٤هـ.
المعجم الأدبي – تأليف جبور عبد النور – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – ط١ – ١٩٧٩م .
المعجم الوسيط – قام بإخراج الجزء الأول إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار – وقام بإخراج الجزء الثاني د. إبراهيم انيس ود. عبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله احمد – اشرف على الطبع حسن علي عطية ومحمد شوقي امين – دار المعارف بمصر – ١٩٧٢م .
مع المتنبي – د. طه حسين – دار المعارف بمصر – ١٩٦٠م .
مناقب آل ابي طالب لأبي جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) – المطبعة العلمية (د.ت) .
المنجد في اللغة – لويس معلوف طهران – ط٣٥ – ١٩٦٤م .
نقد الشعر – لأبي الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) – تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان (د.ت) .
المكتبة الألكترونية :
الموقع الالكتروني : http://www.irib.com/world service arabic
الموقع الالكتروني : http://www.nizwa.com